الطقس الثاني

النزهة
أو
النار المتوحّشة

الكتابة الأولية في بغداد، أكتوبر 1979

الكتابة النهائية في كوبنهاكن، أكتوبر 2003

الشخصيات

الرجل

الحارس

الأم

الابن

(نور أزرق يغمر أرضاً نائتة وسط مياه يمكن أن تكون جزءاً من جزيرة صغيرة، يقف في وسطها رجل في السبعين من عمره، لكنه ما زال قوياً وحيوياً، توسّطت وجهه نظّارة طبّية بإطار أسود كبير، ما يستوجب دفعها بين الحين والآخر، مع ذلك فالرجل لا يرى جيّداً أحياناً. سترته القديمة مزيّنة بزهرة عبّاد الشمس، يبدو محترماً بملابسه هذه. ضعيف الذاكرة، ينسى أحياناً فتخرج كلماته متباعدة، أو أنه قد يفتعل هذا كلّه لأسباب لها علاقة بمهنته، قلقاً ينفجر بغضب غير متوقّع بين الحين والآخر، يُصاب بانهيار قد يكون نتيجة مرض الصرع المزمن. أحياناً لا يخضع الحدث على خشبة المسرح إلى منطق الواقع وإنما إلى الزمن الفنّي الذي يتطلّبه الحدث. من الضروري الفصل بشكل واضح بين الحاضر والماضي أو بين الكابوس «الماضي» والواقع «الحاضر»، أي بين ما يتذكّره الرجل في الماضي وبين وجوده في الحاضر الآني على خشبة المسرح).

الرجل: (كمن يستيقظ من كابوسه) أين أنا؟
(ينظر في الأفق ويخطو في المكان باحثاً) لا أرى شيئاً سوى الماء يحيط بي من كل مكان وكأنني غريق (يدفع نظّارته، صمت) كيف وصلتُ إلى هنا؟

الحارس: (يتعامل دائماً بقسوة مع الرجل لكن بهدوء أعصاب وكأنه يقوم بالتحقيق معه أو كأنه يعرفه ويُخفي الأمر، وبالرغم من أنه يعطف عليه إلا أنه يتعامل معه بسخرية واضحة، وعادة يحمل أدوات غريبة مثل حبل وفأس (طبر). من الضروري أن يبدو كأنه هبط من مكان مجهول أو كأنه معلّق في الفضاء، فيظهر في كل مرّة من مكان لا يتوقّعه الرجل أو الجمهور، كل شيء كأنه وهم أو كابوس): ماذا تفعل هنا؟

الرجل: لماذا تسأل، من أنت؟

الحارس: أنا حارس هذا البستان.

الرجل: بستان! تقصد هذه الجزيرة.

الحارس: جزيرة، بستان ليس هنالك فرق كبير. (صمت) لماذا أنت هنا؟

الرجل: ماذا؟

الحارس: ماذا تفعل هنا؟

الرجل: أنتظر...

الحارس: ماذا تنتظر؟

الرجل: أنتظر... أ... أنتظر... (صمت) لا أتذكّر.

الحارس: (بمغزى وعدم رضا) كيف، لا تتذكّر؟

الرجل: (بغضب) قلت لك لا أتذكّر.

الحارس: سأساعدك على... أين كنت قبل هذه اللحظة؟

الرجل: (لا يجيب عن أسئلته مباشرة. صمت، يحاول التذكّر، كأنه يحدّث نفسه مأخوذاً) خرجت للنزهة على شاطئ النهر (يتذكّر) حقيبتي؟ (يبحث عن أشياءه المبعثرة) أين حقيبتي؟ إنها تحمل كل متاعي وذكرياتي، آه ها هي. (منذ الآن تبدأ الأشياء التي يحملها بالتساقط)

(يطمئن على أشيائه) الحمد لله كل شيء موجود فيها، (فرحاً) وهذه مظلّتي أيضاً.

الحارس: كيف جئتَ إلى هنا؟

الرجل: (يتذكّر) تنزّهت أولاً في المدينة.

الحارس: (مشغول بما في يده) أية مدينة؟

الرجل: المدينة... مد...

الحارس: (يقاطعه، يضحك وهو ما زال مشغولاً) عن أي مدينة تتحدّث؟ هل

ترى آثار مدينة هنا أو في الجانب الآخر من النهر مثلاً؟

الرجل: كلا. لكن ماذا تريد؟ لماذا تحدّثني بهذه اللهجة... ولماذا... لا...؟

الحارس: (مقاطعاً) اشش اهدأ... حتّى تتذكّر... لماذا أنت هنا.

الرجل: لماذا؟

الحارس: النسيان ممنوع. لماذا أنت هنا؟

الرجل: لماذا، لماذا؟ أ... آه تذكّرت... أنتظر من يساعدني على الخروج من هنا فأنا لا أعرف السباحة، وها أنا كالمتورّط (فترة) أتساعدني؟

الحارس: بشرط أن أعرف كل شيء عنك، فأنا لم ألتقِ بك من قبل.

الرجل: لماذا تريد أن تعرف؟

الحارس: حتّى أساعدك.

الرجل: أم هي عادتك أن تدسّ أنفك في كل شيء، أم...؟

الحارس: ولأني الحارس هنا.

الرجل: آه الحارس. ولماذا تحمل الحبل وهذه الفأس؟

الحارس: (ساخراً) أتلهّى بهما. والآن لنبدأ. كيف وصلت إلى هذا البست... أعني الجزيرة؟

الرجل: أغراني الفضول لرؤيتها، فهي المكان الوحيد الذي تُحيطه المياه من كل جانب، لقد سمعت الكثير عن غرابتها وهوائها المنعش، إضافة إلى الحفلات التي تقام فيها.

الحارس: من أخبرك بذلك؟

الرجل: زملائي الذين كانوا يمضون أياماً في الواجبات والمهمّات هنا.

الحارس: ما هي هذه المهمّات؟

الرجل: لا أعرف.

الحارس: ألم نتفق على أن تخبرني كل شيء؟

الرجل: حقاً لا أعرف، ثمة أقسام عديدة في الدائرة التي أخدم فيها وكل قسم لا يعرف أسرار القسّم الآخر. من الممكن أن تكون واجبات خاصة.

الحارس: (مشغولاً) أين تخدم؟

الرجل: في التحقيقات.

الحارس: التحقيقات؟

(صمت)

الرجل: لماذا تبتسم؟

الحارس: من أوصلك إلى هنا؟

الرجل: ركبت مع شباب كانوا يرقصون ويغنّون على ظهر المركب، يبدو أنهم يحتفلون، (يضحك) وشعرت بأنهم يحتفلون معي، ولا إرادياً صمدت معهم، أعني بحكم مهنتي. (ينظر في أرجاء المكان) أين ذهبوا؟

الحارس: لماذا ركبت معهم؟

الرجل: لأتنزّه أولاً، وأردت أن أعرف لماذا يحتفلون؟

الحارس: وهل عرفت؟

الرجل: مناسبة عيد ميلاد.

الحارس: وأنت لماذا خرجت للنزهة؟

الرجل: مناسبة؟... بمناسبة (صمت) لكن لماذا تسأل عن كل شيء؟

الحارس: ألم نتفق، أجب عن سؤالي. ما هي المناسبة؟

الرجل: (صمت، تسقط الحقيبة فيتذكّر، يضحك فرحاً) بمناسبة مرور 10 سنوات على تقاعدي (يضحك، متفاخراً) قبلها خدمت 30 سنة في قسم التحقيقات في الدائرة. كنت أفتخر بعملي.

الحارس: لماذا؟

الرجل: لأني أستطيع حماية الوطن من أصحاب الأفكار الخطرة (يضحك

فرحاً) عظيم بدأت أتذكّر الآن بوضوح، كدت أنسى كل شيء (يدفع نظارته، مؤنّباً نفسه) كيف أنسى وأنا أحتفل بمناسبة عزيزة عليّ؟ لأنني أعتبر هذا اليوم من الأيام السعيدة في حياتي بعدما أتممت واجبي. ومنذ ذلك اليوم وحتّى اللحظة ما زلت أحتفل به كل عام. في البداية شعرت بالفراغ والوحدة والقلق في البيت.

الحارس: ألأنهم أحالوك على التقاعد؟

الرجل: نعم، وخفتُ من أن يكون بسبب تقصيري بواجباتي في الدائرة.

الحارس: وهل كان هو السبب؟

الرجل: لا أعرف، بالرغم من أنني ذهبت إلى رئيس القسّم أسأله عن السبب، طمأنني وأخبرني بأنني كنت أكثر الموظفين إخلاصاً في العمل، فشكرته وسألته إن كانوا يحتاجونني في الخدمة من جديد.

الحارس: وماذا قال؟

الرجل: قال إنه سيستدعيني، وكجزء من المناسبة تعوّدت الذهاب إلى الدائرة في كل عام لتذكيرهم عسى أن يحتاجوني.

الحارس: وهل ما زلت تقلق كما في السابق.

الرجل: الآن أنا أكثر هدوءاً وأشعر بالسعادة لأنني أدّيت واجبي بكل إخلاص. كانت الدائرة تملكني وتأخذ كل وقتي. كنت مشغولاً بوظيفتي وكتابة التقارير والكتب وتنفيذ الأوامر والواجبات النهارية والليلية، كنت سعيداً بعملي، لكن مع الأسف لم يكن لدي وقت للتمتّع بالحياة ورؤية جمال الطبيعة والقمر عندما يتلاعب ضوؤه في ماء النهر الذي يقسم المدينة إلى جانبَين.

الحارس: أي مدينة؟

الرجل: مدينتي.

الحارس: (يضحك) مدينتك؟

الرجل: نعم مدينتي. (صمت) أنت لم تحدّثني شيئاً عن نفسك؟ ألم نلتقِ سابقاً؟

الحارس: لماذا تسأل؟

الرجل: لأني...

الحارس: (مقاطعاً) أنا الذي أسألك، ألم نتفق؟

الرجل: نعم.

الحارس: إذاً أجب عن أسئلتي. (صمت) لماذا تركتَ الشباب الذين كانوا معك على المركب يفلتون منك؟

الرجل: إنهم صبيان.

الحارس: ألم تفكّر في أنهم قد يكونون خطرين؟

الرجل: نعم وكان هذا أحد أسباب ركوبي معهم، رغم أني تعوّدت على الاحتفال في كل عام في مثل هذا اليوم وحدي.

الحارس: لماذا؟

الرجل: كي لا يشاركني أحد فرح الذكرى عندما كان رؤسائي يقدّمون لي تقارير الشكر لإخلاصي في عملي. كنت لا أضيّع يوماً، ولا ساعة، ولا دقيقة، ولا ثانية، ولا لحظة. أعمل في الدائرة والبيت، وما لم أستطع تكملته في النهار، أنشغل في إنجازه ليلاً، وحتى في إجازاتي كنت أذهب مساءً لمساعدة زملاء المهنة. لذلك شكرني رؤسائي بـ500 تقرير. إنها تقارير حياتي، وهأنذا أحملها معي أينما ذهبت. (صمت) أين حقيبتي؟ (فرحاً) آه، ها هي. الآن أتذكّر بوضوح. (يحمل الحقيبة، تسقط المظلّة، يحملها، يدفع نظّارته، تسقط أوراقه، يجمعها، يشمّها) إنها مكتوبة على ورق معطّر، وما زال عطرها يُدخل

الهدوء إلى نفسي، إنها كالدواء الشافي، أي والله كالدواء. (يتمعّن بها، يشكّ بأنها بيضاء، يتهرّب من الفكرة رغم أنه يبقى متشكّكاً) إن هذه التقارير هي ثمرة أيام طويلة من العمل.

الحارس: أكان شاقاً؟

الرجل: نعم في أيامي الأولى فقط لأنني لم أتدرّب جيّداً، إلا أنني تعوّدت عليه وأحببته حتّى أصبح جزءاً مني، من دونه حياتي لا تساوي شيئاً، كنت أجلس على الكرسي في الدائرة ولا أنهض إلا ظهراً، أذهب إلى البيت، آكل قليلاً لأن عملنا يتطلّب خفّة الحركة واللياقة، ثم أنام وأستحمّ وأتعطّر بانتظار المساء. أذهب إلى الدائرة من جديد لممارسة التحقيق أنا وزملائي من المتناوبين لساعات متأخّرة من الليل. حفلة الليل لها خصوصيتها ورومنسيتها (يضحك) لا تندهش، نحن نسمّي عملنا الليليّ بالحفلة، وعندما أتعب أنام هناك.

الحارس: لماذا تمارس التحقيق كلّ ليلة، بينما زملاؤك يتناوبون؟

الرجل: هكذا الأوامر معي. (صمت) من الممكن لأني أكثر زملائي دقّة وإبداعاً في العمل أو... لأن (لنفسه) لا أظنّ.

الحارس: مع من كنت تحقّق؟

الرجل: مع الخونة والمعارضين.

الحارس: خونة؟

الرجل: نعم، مع المخرّبين أعداء النظام والوطن. إنهم مجرمون يخونون وطنهم ثم ينكرون ويكذبون علينا.

الحارس: هل يعترفون عادة؟

الرجل: يتحدّونا بلا خوف في البداية. وبعد يوم أو يومين وووو ههه هه هه، يصيرون خرقة قذرة، لكن بعد أن يفعلوها في أنفسهم هكذا بوط،

بوط، بوط (يضحك ساخراً مشيراً إلى مؤخّرته) ثم نحوّل أجسادهم إلى جيفة، يحدث هذا بعد أن نعلفهم جيّداً.

الحارس: تعلفونهم.

الرجل: عندما نريد إذلالهم، أولاد القحبة يأتوننا متكبّرين.

الحارس: وماذا تفعل أنت بعد ذلك؟

الرجل: تصبح الرائحة لا تطاق فأغلق أنفي وأخرج، وتنتهي الحفلة، لتبدأ حفلتنا نحن.

الحارس: ماذا تعني؟

الرجل: (يؤشّر بيدَيه) حفلتنا مع السجينات.

الحارس: حتى وإن كنت أنت وزملاؤك متعبين.

الرجل: (يتحسّس ظهره) نعم، نجلس لاحتساء الخمر أولاً، ثم نجلبهن واحدة بعد الأخرى، نضاجعهنّ جميعاً، وهذا جزء من واجبنا. لكن بعد انتهاء كل حفلة يؤلمني ظهري. (صمت) كان الألم يزداد يوماً بعد يوم (يدفع نظّارته) في أحد الأيام (صمت) في أحد الأيام ذهبت إلى الطبيب وقلت له (يثبّت مظلّته في الأرض ويتحدّث بسرعة كبيرة، فلا نفهمه أحياناً): إنني كما تعلم أتعذّب ليس فقط من ظهري، بل من كل هذا الذي يحدث و... وغيره... وأخاف أن أموت أو أقتل...(مرتبكاً) إنني... إنني... (يقسم حواره بين الحارس والمظلّة) أنت لا تعلم... (يبد أ ارتباكه لأنه يرى ابنه في خلفية المسرح عارياً يتلوّى ببطء، هذه اللقطة تومض مرّات عدّة كحالة من حالات التذكّر، وأخيراً تبقى ساطعة بإنارة قوية) أنت لا تعلم ما جرى وما الذي فعلتُه. وهم مهما فعلوا بي، محقّون فهم حراس مخلّصون. (يتصاعد إيقاع حواره حتى يتحوّل إلى هستيريا وينهار) ماذا فعلتُ أنا، هل آسف

على شيء ما؟ لكنه... لكنه أجبرني على ذلك، وشجاعته أجبرتهم أيضاً، شجاعته أذلّتهم، مرّغتهم، إلا أنهم حرّاس للوطن. هو ابني... وقد كان شجاعاً، لم يكن خائفاً. نعم لم يكن خائفاً. عرفت كل شيء في وقت متأخّر. نعم إنه ابني، لكن واجبي... هل عرف هذا قبل أن يُقتَل؟ هه هل فهم؟ (إلى الحارس) إنه واجبي ألا تفهم، هل يمكن أن أخون واجبي؟ إنه قوي وصلب وشجاع لم تلد امرأة أخرى مثله، تحمَّل كل شيء ولم يخبرهم، أو يقل لهم ما يشاؤون، وعندما أخبروني بذلك خفت واضطربت، فهل أفرح لشجاعته أم أخاف لأنه عصى ولم يُطِع؟ هذه الأخطاء وغيرها، تُعتبر ذنوباً (يضحك) أوهووو، أوهوووو ثمة الكثير منها، نعم الكثير. وهو... هو، آه لو تعاون معهم، أقصد معنا، لاستطاع تخليص نفسه، لو وافقهم، لو قال: نعم، لو تاب وذهب إلى الجبهة لمحاربة العدو لو لو لو... لكان هو الآن مكرّماً معززاً كمواطن أو شهيد. لكنه صمت، أصبح أخرسَ كي يتحدّاهم، لم يخبرهم ولم يوافق. نعم أي والله لم يخبرهم فغرسوا خناجرهم في رقبته: خنجر، اثنان، ثلاثة، أربعة، عشرون خمسون مئة ألف مليون... في الرقبة، في الرقبة، في الرقبة (يرى الابن في الخلفية من جديد) وأيضاً في أماكن أخرى، هناك في موضع الموت. غير أنه، أنه، هو... هو... يتحمّل الـ... لكن أيضاً هم... هم... جميعهم، والذبح... الذبح... كل هذه الأخطاء وغيرها. هل تعلم بأنني كثيراً ما أودّ، أنه هو... هو... هو... انذبح... عرفت كل شيء عرفت، انذبح انذبح انذبح بح بح، و...، و... (يلهث، يفقد توازنه، يُخرج أصواتاً غير مفهومة ومن ثم يعوي كذئب مطارد وتائه) ووو... ووو... ووو... (يرى الابن) ووووووووووووووووو (الأب ينهار أرضاً ويصاب بنوبة من الآلام تشبه الصرع، تستمرّ فترة

ليست بالقصيرة ثم يهدأ ببطء... الابن يختفي من المشهد) أين أنا؟ أين. آخ، إنها النوبة، هذا المرض يعذّبني كل يوم... وما زال. أمر ربّنا (صمت).

الحارس: مزمن وسيُلازمك طوال حياتك.

الرجل: نعم وكأنه في قلبي وذاكرتي وروحي، سيقضي عليّ دون أن أشعر.

الحارس: وفي يوم ما ستجد كل شيء قد فات أوانه.

الرجل: نعم إنها اللعنة. لكن عصاي تساعدني (تسقط الحقيبة، يحملها) أين هي؟ أين هي؟ (يبحث) ها هي (باعتزاز) كل شيء فيها، تنقذني من عثرات الطريق.

الحارس: (ساخراً) وغدر الأصدقاء وقسوة الأشرار.

الرجل: كيف عرفت؟

الحارس: هذا ما كان يقوله أجدادنا.

الرجل: صدقوا (صمت طويل).

الحارس: لماذا تنظر إليّ هكذا؟

الرجل: أشك، هل رأيتك في مكان ما؟

الحارس: كفّ عن السؤال. (فترة) ألم تذهب إلى الطبيب بعد ذلك؟

الرجل: لا لم أذهب لأنه لم يعد ينفعني فلم أثق به. ولا أتذكّر هل كشفت لهذا الطبيب القوّاد أسراري، أم لا؟ على كل حال أخبرت رئيس دائرتي بآلامي جميعها فنصحني أن أذهب إلى طبيب الدائرة وكتب لي تقرير شكر جديد، ها هو، انظر. (الرجل ينظر إلى التقرير متشكّكاً، يلعقه، يشمّه بارتياح، يشك به، يخدع نفسه) هذه التقارير هي حياتي (خائفاً) إن الهواء يفسد تقاريري (يخفي الملفّ) يجب أن أحافظ على رائحتها، إنها للذكرى بسببها أشعر بأنني أدّيت واجبي

وأصبح لديّ الوقت للخروج أينما أشاء، للنزهة، للسفر... (تتساقط حاجياته)

الحارس: (يضحك) وماذا تسمّي هذه: نزهة أم ورطة؟

الرجل: طبعاً نزهة ممتعة، وكأني أقوم بها لأول مرّة في حياتي (صمت). الآن تذكّرت كيف جئت إلى هنا، حملت معي كل شيء، حقيبتي ومظلّتي وكل ما أملك واحتطت لكل شيء. فقد تعوّدت ألا أدخل إلى مكان جديد دون أن أكون مستعداً لمواجهة الظروف الطارئة كلّها (يدفع نظّارته) هأنذا أتذكّر بعمق. خرجت على عجل من البيت بعدما ارتديت هذه الملابس التي اشتريتها قبل عشر سنوات بمناسبة إحالتي على التقاعد، لكني لم ألبسها إلا مرّة واحدة في كل عام، هي تبدو شاحبة الآن.

الحارس: إنه الزمن يقسو على الإنسان وحاجياته.

الرجل: إنك على حق. عندما وصلت المركب شاهدتهم متجمّعين، كانوا لطيفين معي حتى أن أحدهم دفع أجرتي. وعندما وصلنا إلى هنا تعبت من ضجيجهم، فذهبت أتنزّه بعيداً عنهم، بعيداً بعيداً، بعيداً لأستطلع الجزيرة. شعرت بالتعب فاستلقيت على الرمل كان بارداً، خدّرني، واجهتني الشمس فلم أرَ شيئاً، لم أسمع شيئاً وأثقلت جفني، غفوت، ونمت نوماً عميقاً وفجأة شعرت بطيور البراري ترفّ بأجنحتها ورأيت قمراً أحمرَ كأنه وجه مُدمًّى.

الحارس: أنت تحلم، فحينما يكون الإنسان وحيداً تختلط في ذهنه الأشياء.

الرجل: ممكن.

الحارس: فيبدو كأنه معلّق بين السماء والأرض، هل تشعر بهذا؟

الرجل: إني على الأرض الآن، وأعيش في مدينة لم أتركها يوماً واحداً. إنها

مدينتي، نعم مدينتي بالرغم من إنني أشعر بالوحدة لأنهم يتحاشونني لا أعرف لماذا؟ أجلس في المقهى وحيداً، وأحياناً مع أحد زملاء المهنة، وعندما أطلب من أحدهم أن نلعب الشطرنج أو الدومينو يجاملني، لكنه سرعان ما يتوقّف ويتذرّع بشتّى الأعذار. فأغضب واشتمه لأنه من الملاعين أولاد الملاعين الذين يستحقّ كل واحد منهم أن يُجلد كلّ يوم مئة جلدة، يجب أن... أعوذ بالله... لكني كنت أكتفي بشتمهم، نعم، أشتمهم وأشتم أمّهاتهم ومدينتي أيضاً لأنها ملعونة مثلهم، ومع هذا اعتبرها مدينتي. ليس لديّ مكان آخر (صمت، لنفسه) هل هي حقاً مدينتي، هل هؤلاء هم أهلي؟ أيحترمونني؟ أين هم؟ لا أرى أحداً، أين ذهب ذلك كلّه، أين ذهب الجرف الآخر؟ لا أحد هناك، كيف يحدث هذا؟ لا أرى أحداً، لا أسمع صوتاً ولا ضجيجاً ولا همساً أو طيراً، أنا وحدي والنهر. (عليه أن يوهمنا بمحاصرة الماء له، قلقاً ينادي...) هه... هه، النجدة، أنتم في الجرف الآخر، هل تسمعونني، هه... النجدة أين أنتم، أين ذهبتم؟

(الرجل والحارس يدوران في المكان وهما يصرخان)

الحارس: (كالصدى) أين ذهبتم، أين ذهبتم، ذهب... تم تم... تم تم... تم تم... تم، تم م م م م م م

الرجل: (يصرخ) هه... هه أين ذهب ذلك كلّه؟

الحارس: (كالصدى) أين ذهب ذلك كلّه... كلّه... كلّه له له.

الرجل: هه، هل أحد هناك.

الحارس: (ساخراً) لا أحد... (صدى) هه هل أحد هناك، هناك ك... ك... ك... ك...

الرجل: (يحاول سماع الصدى) ليس هنا سوى الصدى.

الحارس: نعم ليس سوى الصدى، ألم أخبرك.

الرجل: هل ستساعدني في الخروج من هنا.

الحارس: لا أستطيع الآن.

الرجل: لماذا؟

الحارس: تقتضي الأوامر ألا أخبرك.

الرجل: أية أوامر؟

الحارس: أنت لحوح تسأل كثيراً.

الرجل: ساعدني بالخروج من هذه الورطة أرجوك.

الحارس: لماذا أنت ملحاح هكذا.

الرجل: إنني خائف.

الحارس: لا تقلق.

الرجل: أنا وحيد.

الحارس: لا تحزن (يهمّ بالذهاب).

الرجل: قف، إلى أين ذاهب؟

الحارس: لا تخف.

الرجل: متى ستعود؟

الحارس: سأعود.

الرجل: هل ستساعدني.

الحارس: سأعود.

الرجل: أحقاً؟

الحارس: سأعود (يختفي فجأة كما ظهر)

الرجل: في أي وقت؟

الحارس: سأعود.

الرجل: متى؟

الحارس: غداً أو بعد غد... سأعود؟

الرجل: نهاراً أم ليلاً؟

الحارس: لا أعرف.

الرجل: وأنا ماذا سأفعل؟

الحارس: انتظر.

الرجل: أنتظر؟

الحارس: انتظر. سأعود، سأعود، سأعود.

(صمت طويل، تسقط أشياء الرجل ينشغل بها قلقاً. نسمع الأم تتمتم في الظلام. هذا المشهد يشعّ في ذاكرة الرجل كذكرى يحاول الهرب منها. في الضوء الساطع تتراءى الأم وهي تحتضن ابنها، كأنهما أيقونة)

الأم: اللهم إني أعوذ بك من شرّ كل سلطان عنيد، ومن شرّ كل ضعيف وشديد ومن شرّ كل وضيع وضنين، وحسود وحقود. إني أعوذ بك من شرّهم (بحقد) آخ هم، هم سبب بكائي ونحيبي. قتلوني عندما قتلوا وحيدي، ويقتلونني في كل دقيقة الآن. ليس لي أحد سواك فأنت شفيعي ومن يأخذ بثأري منهم.

الرجل: (يقفز يجوس المكان ليتأكّد من هذا الذي يسمعه) لمن هذا الصوت (فترة) لا أحد، يبدو أنه صوت الريح.

الأم: إنه صوتي.

الرجل: (فزعاً) من أنتِ؟(فترة) آه... أهذه أنتِ؟ (يتمعن جيّداً يبدأ المشهد في الماضي) ماذا تفعلين في الظلام؟

الأم: أرشّ جروح ابني بالمسك.

الرجل: اشش اخفضي صوتك (صمت) متى جاؤوا بجثّته؟

الأم: هذا المساء بعدما رفضتَ استلامها.

الرجل: من أخبركِ؟!

الأم: هم أخبروني ساخرين منه ومنّا.

الرجل: اصمتي.

الأم: وطلبوا منّي ثمن تعبهم في تعذيبه وثمن رصاص قتله.

الرجل: اصمتي.

الأم: ومنعونا من القيام بواجب الموتى.

الرجل: اصمتي.

الأم: لن أصمت.

(أثناء الحوار الآتي الأم تشعل البخور وتنثر الآس وتهيّئ المكان وتطهّره وترشّ جثّة الابن أيضاً بماء الورد لقيامته من جديد)

الرجل: يجب أن ندفنه بلا ضجيج.

الأم: ودمه.

الرجل: مهدور لأنه رفض محاربة العدو، هرب ولم يذهب إلى الجبهة، وانزوى بعيداً ليحارب ضدّ وطنه، وعندما دعوهم للتوبة لم يتب ولم يأتِ لأنه حمار ورأسه كالحجر.

الأم: نعم، إنه ابني، ابن بطني، لا يخاف ومثل السيف ضدّ الباطل.

الرجل: أنتِ السبب لأنك هكذا ربّيته، والنتيجة لم يصغِ حتى لي.

الأم: هل تسمع يا بني،أنا السبب (إلى الأب) وماذا عنك أنت،أنت الذي لم تصغِ في حياتك لحظة واحدة إلينا، تطلب منا أن ننفذ أوامرك كالخدم. تأتي الفجر وعليّ أن أستيقظ وأنزع لك حذائك وأغسل قدمَيك، وأختنق برائحة العرق المزوج بالدم الذي أشمّه في جسدك

وملابسك. دم متجمّد كل صابون الدنيا لا يزيل رائحته، عندما تريدني أو تغتصبني كل ليلة كنت أتقيأ. أما هو فأنت لم تكن تراه سوى مرّة أو مرّتين في الأسبوع. مشغول ولم تكن تهتم إلا بعملك.

الرجل: إنه واجبي، به أحافظ عليك وعليه، وأنا أعرف كيف أسيّر أمور الحياة.

الأم: ولهذا سلّمته لهم، انظر بأي حال رموه أمام البيت.

الرجل: اصمتي سأهيّئ السيّارة لدفنه ولا أريد صراخاً ولا لطماً.

الأم: لن يكون هذا أبداً.

الرجل: ماذا تريدين؟ هل تريدين أن يهدموا البيت على رأسي.

الأم: ليس لديّ غيره.

الرجل: أتريدين أن يقتلوني أو يطردوني من وظيفتي.

الأم: أتريد أن تتخلّص منه؟

الرجل: أتخلّص من ابني؟

الأم: ابنك!! دمه في رقبتك.

الرجل: اصمتي هو المذنب، نعم هو، لماذا لا يسمع كلامي، لماذا لم يسلّم نفسه، لماذا لم يذهب إلى الجبهة؟ لماذا عاد متسللاً؟ لماذا؟ لماذا...

الأم: أنسيت لماذا؟ اسأله.

الرجل: ماذا؟ والله العظيم أنت مجنونة، أأسأل ميتاً؟

الأم: ميت؟ إنه مقتول، نعم مقتول، الشهداء لا يهدؤون في قبورهم، تظلّ أرواحهم هائمة ينتظرون من يصغي إلى عذابهم.

الرجل: اصمتي.

الأم: اسمعه الآن، أنت تعرف أنه رضع حليبي، من هذا الصدر؛ صدر الأم المنكوبة. ابني وأعرفه، مخلص لحليب أمّه وعندما أتحدّث معه

سيسمعني. اسمع، لماذا عدت يا بنيّ؟

الرجل: اصمتي كي لا يسمعك الجيران.

الأم: هل نسيت ماذا فعلت به؟ اسأله.

الرجل: كفى جنونٌ.

الأم: سأنثر الآس على عينَيه ليُزيل عنهما النعاس الثقيل. وأُرضعه من صدري مثل ما كان في مهده، وبدل الحليب، يرضع دمي الذي سيجعله يتحدّث حتى يُشفيني من عذابي.

الرجل: (ساخراً) تفاهات، أنت خرفت.

الأم: سيقوم ليكشف العذاب الذي تحمّله. تكلّم بني، ماذا فعلوا بك؟

الرجل: اصمتي.

الأم: سيقوم وسيذكّرك، تكلّم من سلمك لهم ومن قتلك؟ من؟

الرجل: اصمتي.

الأم: لا بدّ من أن يقوم.

الرجل: اصمتي، كان مجنوناً مثلك عندما لم يسمع كلامي.

الأم: لأنه طاهر ويريد أن يظلّ كذلك.

الرجل: إذا كان هكذا لماذا عاد كاللص؟

الأم: اسأله. لماذا عدت إلى هنا؟ لماذا عدت إلى نار جهنم يا بني؟

الرجل: اصمتي وإلا سأكسر رأسك.

الأم: كيف أصمت؟! سأصرخ في كل مكان ليعرف الناس ما الذي فعلته بابنك.

الرجل: لن يسمعوك لأنك جننت.

الأم: إنك تخاف أن تسأله. اسأله. من سلّمك لهم يا بني؟

الرجل: مجنونة.

الأم: تكلّم بني كيف عذّبوك وقتلوك؟

الرجل: اصمتي.

الأم: لن أصمت.

الرجل: اصمتي يجب أن ندفنه سريعاً، سيأتي من يتأكّد من ذلك.

الأم: ندفنه، هل يُدفن الأحياء. سيقوم الآن. إنك تخاف منه، لأنه حيّ.

الرجل: ما زلت تهذين.الجو حارّ وإذا لم ندفنه ستكون هناك مصيبة لن تنتهي بسلام.

الأم: لن تكون أكبر من هذه المصيبة. لماذا سلّمته؟ تكلّم.

الرجل: أنت لن تفهمي الواجب الذي في رقبتي.

الأم: إذا لم تُنفّذ تُقتَل.

الرجل: إذاً ليس هنالك حلّ آخر.

الأم: أنت الذي وضعت نفسك في مصيدتهم كالجرذ،كان يمكن أن تعمل في وظيفة أخرى.

الرجل: والله العظيم أنت جاهلة، لا تفهمين أننا نحمي وطننا. هيا أحضري جثته سأجلب السيّارة.

الأم: لن يحدث هذا إلا بعد أن يخبرني هو بكل شيء.

الرجل: (يصرخ) كفى جنونّ. كوني عاقلة وأصغي إلى ما أقول.

الأم: تكلّم لماذا عدت؟ لماذا بني؟ ما الذي حدث؟ تكلّم يا شهيدي (صمت، ترش ماء الورد وتنثر الآس، وبصوت حزين كالأنين) تكلّم بني، كيف عذّبوك (تتمتم) اللهم أنا عبدك المسكين، الضعيف، الفقير، المستكين.

الرجل: اصمتي. تهذين كالمجنونة. اصمتي وإلا طلّقتك ورميتك إلى الكلاب.

الأم: أنت لم تطلّقني، أنت تقتلني في كل دقيقة، تكلّم بني ماذا فعلوا بك؟

الرجل: اتركي جثته بسلام.

الأم: ولماذا لم يتركوه هم بسلام؟ لماذا؟

الرجل: لأنه لم يكتفِ بالخيانة، بل عاد ليتحدّى ويخرّب، فاصمتي كي لا يسمعوننا.

الأم: تكلّم لماذا عدت؟ تكلّم يا بني.

الرجل: أنت مجنونة حقاً.

الأم: اللهم إنك الأول قبل الأحياء والآخر بعد فناء الأشياء. أنت العليم الذي لا يخيب من دعاه ولا يقطع رجاء من رجاه، اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً. بنيَّ أخبرني بعذابك.

الرجل: اتركيه بسلام.

الأم: (إلى الابن) لماذا عدت يا بني؟

الرجل: اسمعي إن هذا جنون. إذا لم تصمتي سأقتلك.

الأم: هذا واجبك ووظيفتك (صمت، تشهق لتستنهضه) بنيّ!!

(يقوم الابن بهدوء. يذهب إلى الرجل وهو في عزلته، أي في الحاضر، يدور حوله ثم يعود إلى الأم في الماضي يتجه نحوها، يهمس حواره حذراً من أن يسمعه أحد ما. الرجل يبقى يراقب طوال المشهد لأن الماضي يلحّ على ذاكرته)

الابن: أمّي.

الأم: بنيّ (تحتضنه) هل عدت؟

الابن: هل ستغفرين لي.

الأم: اششش تعال، تعال أيها العريس المحروم من عرسه. يا حلمي البعيد (تشمّه) كيف وصلت إلى البيت، إنهم مثل الدود في كل مكان. يبحثون عنك ولم يهدؤوا إلا بعد قتلك أنت وأصدقاءَك. ألم يرك رجالهم؟

لماذا عدت يا بني؟

الابن: يا أمّي، عدت كئيباً أطلب غفرانك.

(الحوار الآتي بين الابن والأم يكون حواراً مخنوقاً هامساً، لكن يجب الحفاظ على توتّره وإيقاعه الذي يتسارع تدريجاً. الأم تحاول في البداية الهرب من الإجابة الصريحة عن أسئلة ابنها، الرجل ما زال يراقب المشهد وهو في عزلته في الحاضر)

الأم: أشمّ في جسدك رائحة غريبة.

الابن: رائحة الغربة،كم تمنّيت الرقاد في حضنك، حضن الغزلان البهيجة. (يقبّل قدمَيها بقدسية)

الأم: اهدأ، اهدأ، عدت إلي حياً من جديد. أحلمٌ هذا؟ لا أصدّق، تعال، تعال. ماذا فعلت هناك؟

الابن: هناك توسّدت الشوارع وأكلت العشب والصخور، والتحفت السماء الغريبة حالماً بالنجوم والقمر.

الأم: (تشمّه) يا فرحي، لماذا عدت؟

الابن: شمّيني يا أمّي.

الأم: لماذا عدت؟

الابن: ضاقت بي الدنيا.

الأم: أجائع أنت؟

الابن: ماتت طيور الوادي جميعها.

الأم: لماذا عدت؟

الابن: وطيور السنونو هجرت أعشاشها إلى أرض غريبة.

الأم: أعطِشٌ أنت؟

الابن: أما نحن يا ملاكي فقد تمزّقنا في الغربة حتى تخثّرنا.

الأم: أتعبٌ أنت؟

الابن: وما زلنا نمتصّ دماء بعضنا، وفي النهاية وجدنا أنفسنا منهكين.

الأم: لمَ عيناك حزينتان؟

الابن: جئتك مستوحشاً، مطارداً بعدما ضاقت بي السبل.

الأم: (تريد تغيير الموضوع) هل تريد أن تنام؟ تعال، تعال.

الابن: كلا. أمّي ماذا جرى في غيابي؟

الأم: (تتهرّب) لمَ أنت حزين؟

الابن: حدّثيني

الأم: هزلتَ كثيراً.

الابن: حدّثيني.

الأم: تغرّبتَ طويلاً.

الابن: حدّثيني.

الأم: تعال.

الابن: ماذا جرى؟

الأم: (مندهشة) ماذا جرى؟! جرى الكثير، والآن اهدأ واسترح.

الابن: كلا، حدّثيني، ماذا جرى يا أمّي؟ لا أسمع همساً ولا صوتاً، لا ضوءاً أو دفئاً. لماذا؟

الأم: رحلوا.

الابن: إلى أين؟

الأم: إلى ديار أخرى لا يعلم مكانها إلا الله.

الابن: حدّثيني يا أمّي.

الأم: تقاطر علينا الأغراب.

الابن: حدّثيني.

الأم: جاؤوا بعاهاتهم.

الابن: حدّثيني.

الأم: مرضى.

الابن: حدّثيني.

الأم: مجانين.

الابن: حدّثيني.

الأم: جاؤوا قواويد وأنذالٌ.

الابن: حدّثيني.

الأم: كلاب ووحوش ليس في قلوبهم رحمة.

الابن: حدّثيني.

الأم: يسمّموننا كل يوم.

الابن: حدّثيني.

الأم: ينهبوننا كل يوم.

الابن: حدّثيني.

الأم: يعتدون على شرفنا كل يوم.

الابن: حدّثيني.

الأم: في الفجر نعثر على مئات الرضّع في المز ابل.

الابن: حدّثيني.

الأم: وأطفال يتامى يأكلون بُرازهم من الجوع.

الابن: حدّثيني.

الأم: فتيات صغيرات تحوّلن عاهرات. ملائكة تستغيث.

الابن: حدّثيني.

الأم: زوجات طُلّقن بالقوّة من أزواجهن الهاربين.

الابن: حدّثيني.

الأم: أرامل تحوّلن قوّادات من أجل لقمة العيش لأطفالهن.

الابن: حدّثيني.

الأم: كان الليل وحشةً وظلاماً يا بني.

الابن: حدّثيني.

الأم: وما زال موحشاً.

الابن: حدّثيني.

الأم: حتّى الطيور كانت تنتحب عندما تغيب الشمس.

الابن: حدّثيني.

الأم: باع الناس كل شيء حتّى أجسادهم.

الابن: حدّثيني.

الأم: والرافضون للحرب لا يجدون مكاناً ورغيف خبز (فجأة) لماذا عدتَ؟

الابن: اشتقتُ أن أقبّل تراب قدمَيكِ.

الأم: يئستَ؟

الابن: حتّى أموت هنا بين يدَيكِ.

الأم: لماذا أتيت؟

الابن: يا مباركتي عبرت البراري وصعدت الجبال وهمت في المدن الغريبة، لكنني اشتقت إلى حليب طفولتي، حدّثيني يا أمّي.

الأم: لماذا عدت؟

الابن: حدّثيني بما في قلبك.

الأم: تأخّرت.

الابن: اغضبي إن شئت لكن اتركيني أتوسّد تراب قدمَيك.

الأم: ما الذي أتى بك؟

١

الابن: ضاقت بي السبل يا أمّي.

الأم: تأخّرت كثيراً.

الابن: بقيت وحيداً مكتظاً بجروحي بعدما مزّقتنا الغربة.

الأم: تطلّع في وجهي، لماذا أتيت، قل بصراحة؟

الابن: ضاقت بي السبل يا أمّي.

الأم: (غاضبة) اش، اش، كُفَّ، كُفَّ اخزن أحزانك، بعد كل هذا الذي حدث تقول ضاقت بي السبل! (تمسك به) لمَ تقلّصتم، ما الذي أخّركم كل هذا الوقت، تاركين كل شيء يحترق في انتظاركم، الجذور والمدن والأبواب والمحطات والبشر والأرامل واليتامى، أعوذ بالله أعوذ بالله لمَ تأخرتم لمَ؟

الابن: ضاقت بي السبل يا أمّي.

الأم: آآنستم الغربة؟

الابن: ضاقت بي السبل يا أمّي.

الأم: أبعدَ انتظار الثكالى لفَرَج لم يأتِ، بعدما قتل الأب ابنه، بعدما قطّعوا المئات من الشباب بمكائن الثرم، بعدما أجبروا الزوجة على التبرّؤ من زوجها، بعد هذا كلّه تعود لتقول: ضاقت بي السبل؟!

الابن: وأمل؟

الأم: اشش اصمت.

الابن: أمل يا أمّي، أمل زوجتي.

الأم: أمل... الآن تذكّرت أمل؟

الابن: أين أمل يا أمّي؟

الأم: أمل (صمت طويل) عاشت سنوات تنتظرك وفيّة لعودتك بالرغم من أنك لم تعش معها سوى أسبوع واحد. أمل، أجبروها على الطلاق

والتبرّؤ منك، وسجنوها أشهراً. بعد هذا كلّه تأتي لتقول ضاقت بي السبل يا أمّي. اصمت، اصمت، اصمت. (صمت)

الابن: والآن أين هي؟

الأم: (تتمتم من دون أن نفهم منها شيئاً. ينظر واحدهما في عينَي الآخر): أين يمكن أن تكون برأيك؟ تبحث عن رزقها في مكان ما. تبيع...

الابن: جسدها؟

الأم: (صمت تحاول عدم مواجهته)

الابن: (يتلوّى كأنه على جمر. يجب إعطاء الوقت الكافي للتعبير وفهم المعنى) إنه كابوسي. زوجتي، يا إلهي لماذا حدث هذا كلّه؟ لماذا تسمح بكل هذا العذاب يا رب؟ لماذا؟ أين غضبك؟ وأنا؟ من أنا؟ أنا نذل جبان وخنزير مصاب بالطاعون لأنني عدت هكذا. إنهم وحوش أغلقوا سبل الحياة كلّها.

الأم: خذلتني يا بني، انتظرتك طويلاً، ها هو شعري الأبيض يشهد على ذلك، وتعود لتقول ضاقت بي السبل، انظر في عيني، يا لعذاب عينَيك. (تنثر فوق رأسه تراباً وبعض الآس) اخزن أحزانك وكُلْ من تراب الأرض واشرب ماء الرماد حتّى لا تنسى، حتّى لا تنسى.

الابن: لن أنسى.

الأم: حتّى لا تنسى.

الابن: لن أنسى.

الأم: لا تنسَ.

الابن: لن أنسى يا أمّي.

الأم: تعال أباركك لأني خائفة فقلبي يحدّثني. خبّرني ماذا سنفعل؟

الابن: سأعود من حيث أتيت.

الأم: لا تستطيع الآن، إنهم في كل مكان، لقد جئتني ولن أعطيك لهم ليقتلوك، سأحفر لك تحت البيت، تعيش هناك حتّى يفرجها الله.

الابن: وأبي؟

الأم: أبوك؟! سأقاتل من أجلك يا بني حتى لا يخبرهم، لا تخف.

الابن: لن يغفروا له إذا علموا، سيقتلونه.

الأم: لكنه أبوك، عليه واجب الأبوّة، حتى الحيوانات تخاف على ذرّيتها.

الابن: إنك تعرفينه جيّداً؟!

الأم: (تحتضنه وتهدهده) اهدأ اهدأ، الله معنا، لقد طلع الفجر، غداً سيكون كل شيء كما نريد، حلماً كان أو حقيقة.

الأم: (إلى الرجل وهو في الحاضر) وعندما عدتَ فجراً غضبتَ وهجمتَ عليّ كالوحش وضربتَ رأسي بالحائط ورفضتَ أن تحميه. لم تمهله يوماً واحداً ليستريح فأخبرتهم، وكأنك تُخبر عن غريب.

الرجل: نصحته كثيراً أن يسلّم نفسه، لم يسمعني.

الأم: وسمحت لنفسك أن تخونه ليقتلوه.

الرجل: هل يمكن لأب أن يخون ابنه؟

(الأب لا يُبدي أي مشاعر تجاه ابنه، بل هو فَرِحٌ يتشفّى به عندما يسلّمه إلى المقتلة، فهو يقدّس التزاماته وواجباته الوظيفية)

الابن: نعم يا أبي في ذلك الوقت وضعتني أمام خيارهم،أن أسلّم نفسي.

الأب: حتّى أنقذك.

الابن: حتّى تنقذ رقبتك أنت، وكما ترى قتلوني مثلما قلت لك، وهأنذا بين الحياة والموت. لمَ لم تساعدني يا أبي؟

الأب: إذا أخفيتك في البيت لا بدّ لهم من أن يعرفوا و ستحل الكارثة عليّ.

(منذ الآن يتمّ نوع من تناوب الحدث بين الماضي والحاضر)

الابن: لماذا ترفض يا أبي؟

الأب: لا يمكن أن تختبئ هنا يا بني.

الأم: لا أحد يعلم، أنا وأنت فقط. سنحفر له حفرة تحت الأرض يعيش فيها. من سيخبرهم بذلك؟

الأب: من سيخبرهم!؟ (يضحك بصوت عالٍ وهستيري) يخبرهم الهواء، الماء، الشجر، الجيران، الكلاب السائبة. كل هذا سيكتب لهم تقارير مدفوعة الثمن والخوف. أنت مجنونة تطلبين منّي المستحيل. يجب أن يسلّم نفسه الآن وسيغفرون له، فهنالك عفو دائم للتائبين.

الابن: لماذا تصرّ على تسليمي؟

الأب: حتّى لا تقتل.

الأم: وإن قتلوه؟

الابن: مثلما قتلوا الآلاف.

الأب: سأبذل جهدي كي يغفروا لك، سأعطيهم كل ما أملك.

الابن: يأخذون مالك ويطلبون منك أنت بالذات أن تحقّق معي، تعذّبني وتقتلني بيدَيك انتقاماً منّي ومنك.

الرجل: اصمت، الحيطان لها آذان، إذا لم تسلّم نفسك فأنت مجنون.

الابن: ما تطلبه منّي هو الجنون.

الرجل: بعد غياب عشر سنوات متشرّداً في الغربة ومعارضاً ضدّ وطنك. عشر سنوات وأنا أتحمّل هذا العار، لأن ابني يرفض الجبهة ويهرب، وشباب مثل الزهور وأصغر منه يحاربون العدو وكأنهم في نزهة، وإن مات أحدهم يُلفّ بالعلم وأمّه تزغرد أياماً، ابني أنا يحارب الوطن الذي عاش من خيراته. ابني هارب من حرب الوطن ويحارب ضده في بلاد الأجانب؛ أعدائنا. ابني، يحارب أمّه وأباه وأهله. (لا يصغي)

عشتُ قلقاً وخائفاً ومحتقراً من رؤسائي وزملائي هذه السنوات كلّها، وأنا أعلم بأن جميع خدماتي لا تُزيل هذه البقعة السوداء في جبيني بالرغم من أنهم يعرفون إخلاصي. والآن يا بني أحمد الله الذي هداك، سأخبرهم بأنك عدت تائباً، سيغفرون لك ولي كل شيء وسأعود مرفوع الرأس من جديد. إذاً إعقَل وسلّم نفسك.

الابن: كثور يسلّم رقبته للذبح.

الرجل: يسامحونك، وهذا هو الحلّ لي ولك.

الابن: لا أستطيع.

الرجل: وحتّى لا أخون واجبي، لا تطلب مني أن أساعدك بعد الآن. اخرج ولا تريني وجهك أبداً.

الابن: سأخرج، فقط أمهلني أياماً هنا، ولن تراني أبداً.

الرجل: (قلقاً يتمتم) ولا دقيقة واحدة لن أغفر لنفسي إذا خبّأتك، إنه جنون، لا بدّ من أن يجدوك هنا. سلّم نفسك وسيغفرون لك خيانتك.

الابن: هنا لا أحد يشكّ في وجودي.

الرجل: لا أستطيع، فقط عندما تسلّم نفسك.

الابن: لا يمكنني هذا أبداً؟

الرجل: نعم يمكنك، ستنقذ حياتك، وتعيد إليّ شرف الواجب.

الابن: عن أي واجب تتحدّث! ألا ترى الجريمة في كل مكان؟!

الرجل: أية جريمة؟! الجريمة هي أن أخبئك.

الأم: (تتمتم تعاويذها) اللهم أنا عبدك المسكين الضعيف.

الرجل: سلّم نفسك.

الأم: دائماً قاسي القلب، إنه ابنك، وحيدك.

الابن: أنا ابنك يا أبي.

الرجل: القانون هو القانون.

الابن: هم يكيّفونه كما يريدون. لا يمكنك أن تسلّمني.

الأب: (متردّداً) إذاً اترك البيت الآن، الآن.

الابن: ليس الآن، إنهم في كل مكان.

الرجل: وإذا سألوني عنك مرّة أخرى ماذا سأقول؟

الابن: لا شيء، تصمت.

الرجل: واجبي يستدعي أن أخبرهم بكل شيء، إنه الوطن.

الابن: هو وطني أيضاً.

الرجل: أنسيت أنك خذلته وهربت من الدفاع عنه، وعشت عشر سنوات في أحضان الأجنبي تحارب ضدّه؟

الابن: حاربت من أجله أيضاً، فأنا لست عدواً لوطني، أنا دافعت عنه ضدّ هذه الحرب المجنونة.

الرجل: تصبح عدواً عندما ترفض تأدية واجبك، سلّم نفسك.

الابن: إنه جنون، أرفض حتّى لا أموت بلا هدف و بلا معنى...

الرجل: إذا لم تسلّم نفسك فأنا لست مسؤولاً عمّا سيحدث لك.

الابن: لكنك أبي.

الرجل: ليس ثمة مكان للمشاعر، يجب أن نستغلّ الوقت. سلّم نفسك.

الابن: لا أريد أن أكون جثّة.

الأب: لن يحدث هذا إذ تبتَ، أنا متأكّد من أنهم سيغفرون لك، فرئيسي أخبرني بذلك منذ وقت طويل.

الابن: لن يحترموا عهودهم.

الأم: (إلى الأب) لماذا تريد تسليم الأمل الذي كنت أنتظره إلى وحوش مثلهم؟ عشتُ عشر سنوات عند كل غروب شمس أنتظره أن يأتي

ليقول: باسم الله، ويدخل البيت ليقبّل رأسي.

الرجل: لن يدخل البيت مرّة أخرى إذا تحجّر هكذا (إلى الابن) سأتبرّأ منك.

الابن: أنت قاس يا أبي.

الرجل: إنها فرصة لك ولي، سلّم نفسك وإلا ستهدم كل ما بنيته.

الابن: وترضى أن يسلموني جثّة لك.

الرجل: لن يحدث هذا إذا وافقت وسلّمت نفسك.

الابن: أنت تؤمن بالوهم.

الرجل: سلّم نفسك يا بني حتى ينتهي قلقي وخوفي.

الأم: اللهم أنا عبدك الفقير المستكين.

الابن: سيقتلونني.

الرجل: سيغفرون لك من أجلي.

الابن: يذبحونني أو يصنعوا منّي مُخبراً.

الرجل: إذا لم تسلّم نفسك لن يغفروا لك أبداً.

الابن: لن أفعل.

الرجل: إذاً لا أستطيع حمايتك.

الابن: أنت تقتلني يا أبي.

الرجل: (صمت، يفكّر قليلاً، يتمتم) ابقَ إذا شئت وتحمّل تبعات بقائك. اللهم اغفر شرور بني آدم. (تمتمة تختلط مع حوار الابن)

الابن: سيذبحونني، يذبحونني، يذبحونني...

(الأم والابن يختفيان فجأة)

الرجل: (في الحاضر) أين أنتِ، أين ذهبتِ به؟ أين ذهبتما؟

(صمت طويل نسمع الريح تتحوّل تدريجاً إلى عاصفة)

الرجل: ماذا، هل وصل الماء إلى هنا أيضاً؟ لقد بدأ يحاصرني. كيف لم ألحظ هذا من قبل؟ (صوت الريح الذي يشتدّ) حتماً إنها عاصفة ترابية، لا أستطيع أن أرى شيئاً (أثناء العاصفة يتحرّك بصعوبة، يحاول أن يثبّت قدمَيه) لا بدّ من أن أثبّت قدمَي وألا أتحرّك، (يستنجد) هه... هل أحد هناك؟ هه هل تسمعونني، أين أنتم؟ أين ذهب الجميع؟ هه، أيها الحارس أين أنت، لا أرى شيئاً، العاصفة سترميني، سأغرق، هه أيها الحارس أين أنت؟

صوت الحارس: لا تقلق.

الرجل: أين أنت؟ أتسمعني.

صوت الحارس: ثبِّت قدمَيك، إنها عاصفة وقتيّة وسرعان ما تتوقّف.

الرجل: أين أنت؟ هل ستعود؟

صوت الحارس: سأعود قريباً.

الرجل: كل شيء سيء هنا.

صوت الحارس: لا تخف، أيها الغريب سأعود.

الرجل: بدأت تمطر أين مظلّتي؟

صوت الحارس: هه لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام.

الرجل: متى؟

صوت الحارس: في يوم من الأيام.

الرجل: متى؟

صوت الحارس: قريباً، لا تحزن

الرجل: وأنت؟

صوت الحارس: سأعود.

الرجل: متى؟

صوت الحارس: في يوم من الأيام.

الرجل: ماذا تقول لا أسمعك؟ متى ستعود؟

صوت الحارس: (يوقّع حواره)

في يوم ما

في ساعة ما

هناك في مدينتي

الرجل: (يصرخ وهو يقاوم العاصفة والمطر) لا أسمعك.

صوت الحارس: كنّا نسير بجانب النهر

أنا وصديقي كنا نسير

دون

مأوى

مشرَّدَين

وقرب النخلة

الوحيدة

داهمنا الليل

فغفونا

الرجل: ماذا تقول؟ لا أسمعك

صوت الحارس: غفونا.

وعندما أفقت

وجدت كلباً كبيراً

يلعق جثّتي

فعرفت مصيري

مصيري

مصيري

مصيري

(فترة صمت)

مصيري

الرجل: هه ماذا قلت؟

صوت الحارس: مصيري

يا مصيري

يا مصيري

الرجل: ماذا تقول؟

الحارس: أقول ها قد توقّفت العاصفة.

الرجل: لكنها ما زالت تمطر.

صوت الحارس: (بسخرية) المظلّة ستحميك.

الرجل: ماذا تقول، لا أسمعك.

الحارس: (ضاحكاً) مظلّتك لا يمكن أن تحميك من المطر.

الرجل: أين مظلّتي؟ أين حقيبتي وعصاي؟ أين عصاي؟ (يجد المظلّة ينشرها ويظلّ يقاوم المطر) كأنها تمطر دماً. لقد ساءت الحال. متى يعود كل شيء إلى هدوئه؟ متى ينتهي هذا الكابوس، متى؟ (صمت، ثم فرحاً) لقد استجابت الريح. اللعنة ماذا فعلت العاصفة والمطر بمظلّتي؟ لا يمكن أن تفيدني، لقد تمزّقت (يرميها في الماء) والآن انتهى كل شيء وتحسّن الحال(يسأل نفسه) هل تحسن الحال؟ متى ينتهي هذا كلّه؟ (صمت) كيف سأخلّص نفسي من هذه الورطة؟ هل

أستطيع؟ فماء النهر ما زال يزحف. أين حقيبتي، أوراقي؟ مظلّتي؟ ما هذا الذي يتراءى أمامي؟

(الحارس الذي يدخل المسرح فجأة، يدفع كرسياً متحرّكاً فيه دمية مدير الدائرة بملابسه ونظّارته السوداء الكبيرة، الحارس يشبه دمية المدير بالنظّارة والملابس. يبقى مشهد الأم والابن وهما على حالَيهما مضاءً بإنارة ضبابية في العمق، إنهما ما زالا في ذاكرة الرجل)

الرجل: (فرحاً بعودته) أين كنت؟

الحارس: ماذا بك، ما الذي جرى لك؟

الرجل: عاصفة ووو...

الحارس: (ساخراً) وماذا أيضاً؟

الرجل: لا شيء.

الحارس: ماذا تريد؟

الرجل: بحثت عنك.

الحارس: لماذا؟

الرجل: لتساعدني.

الحارس: أساعدك، كيف؟

الرجل: للخروج من هنا.

الحارس: ستخرج إنشاء الله.

الرجل: متى؟

الحارس: لا أعرف لست أنا الذي يقرّر ذلك.

الرجل: من الذي يقرّر إذاً؟ (صمت، ينظران إلى بعضهما وإلى الدمية)

الحارس: لماذا تسأل كثيراً؟

الرجل: لأنك وعدتني بالمساعدة.

الحارس: نعم، وما زلت عند وعدي.

الرجل: إذاً ساعدني.

الحارس: ليس الآن.

الرجل: متى؟

الحارس: عندما نعرف أين ابنك؟

الرجل: (مرعوباً) ابني؟

الحارس: نعم، أين هو الآن؟

الرجل: كيف عرفت أن لي ابناً؟

الحارس: (يضحك) مثل هذا لا يمكن إخفاءه، أنت تعمل في دائرة تعرف كل شيء عن الناس، فكيف لا تعرف عن عملائها وموظفيها؟

الرجل: الدائرة؟

الحارس: (يكمل) نعم رؤساؤنا يعرفون حتّى عندما يختلي الإنسان بزوجته.

الرجل: (مذهولاً) بزوجته.

الحارس: وتريدهم ألا يعرفوا شيئاً عن ابنك الذي رفض الحرب وهرب ليحاربنا وهو يقتات هناك على فتات موائد أعدائنا!

الرجل: يحاربكم، من أنت؟ أتكون...

الحارس: (صمت)... وكفى أسئلة ساذجة.

الرجل: (فرحاً) هل كنت تخدم أيضاً في التحقيقات.

الحارس: أحياناً، لكني دائماً في المهمّات الخاصة التي أحب العمل فيها.

الرجل: لماذا؟

الحارس: لأنها تُشعرني بقوّتي وتفوّقي وتحتاج إنساناً يمتلك معرفة بالتكنولوجيا، ميّزات ليست عادية، خصوصاً منذ أن استوردت الدائرة المكائن الكبيرة لتسهيل عملنا.

الرجل: تكنولوجيا؟ ماذا تفعلون بها؟

الحارس: لمعالجة الحالات المستعصية. فإذا كنتم أنتم في القسّم تنجزون مهمّة واحدة أو مهمّتين، فإننا في ليلة واحدة ننجز المئات، لأن المخرّبين يأتوننا جاهزين من قبلكم. إن تعبكم تسهيل لمهمّتنا. نحن نسأل المذنب سؤالاً واحداً، واحداً فقط وهو في طريقه إلى ماكينة الثرم، إذا لم يوافقنا يستمرّ ولن تراه مرّة أخرى. أما الذين يوافقون فإننا نحوّلهم إلى الممر الآخر، ممرّ النجاة. أغلبهم يختار الحياة عندما يرى زملاءَه وهم يُثرمون في هذه المكائن العظيمة. فيطلب النجدة في اللحظة الأخيرة، نستطيع أن ننقذ بعضهم، والبعض الآخر يثرم ويتحوّل غذاء للسمك. إن دائرتنا ساعدتنا كثيراً، فالمكائن اختصرت زمن العمل الشاق. لذلك فأنا جزء من دائرتي وخادمها الأمين، أأتمر بأوامرها حتى يوم الدين، فالحياة لا تعني شيئاً من دونها.

الرجل: وأنا كذلك.

الحارس: الدائرة تعرف أسرار الناس وحياتهم، بما فيها أسرار النهر والبحر والغابات والطبيعة، وكل شيء.

الرجل: إذاً أنت رفيق المهنة، كم أنا غبي إذاً، فات عليّ الأمر ولم أتعرّف إليك.

الحارس: ولهذا أنت تعسّ.

الرجل: تعس؟!

الحارس: نعم لأنك فقدت حاستك السرّية، كان عليك أن تعرفني من اللقاء الأول، فهذا مهم لأن إهماله يدل على التفكك بين رفاق المهنة، إنك قد لا ترى الأمر بهذه الأهمية لأنك لم تعد تملك البصيرة التي كنت تتمتّع بها عندما كنت تخدم في الدائرة، لذا من السهولة أن تخطئ.

لكن ألا تعلم أن أمثالنا يجب ألا يخطئوا.

الرجل: لقد غفلت.

الحارس: وهذه خطيئة لا تُغتفر، وخطيئتك الثانية أنك لم تعرف أن الذين ركبت معهم في المركب كانوا تنظيماً خطراً، ونحن نراقبهم حتى نعرفهم جميعاً.

الرجل: خطرون؟ لم أرهم هكذا، كانوا صبياناً.

الحارس: ألا يكفي أننا نراهم هكذا؟

الرجل: هل يثير مثل هذا غضب رؤسائي بالرغم من كوني متقاعداً؟

الحارس: ممكن.

الرجل: وماذا أفعل لأكفّر عن أخطائي؟

الحارس: أن تخبر كل شيء تعرفه عن ابنك الآن؟

الرجل: (مرتبكاً) منذ... منذ أن سمعت بأنه هرب خارج الوطن قبل عشر سنين، لم أعرف شيئاً آخر عنه فتبرّأت منه، وكتبت تقريراً في حينها إلى رئيسي.

الحارس: نعم أعرف ذلك. أين هو الآن؟

الرجل: اعتبرته مقتولاً، غارقاً، فقدته، ليس لديَّ ابن الآن.

الحارس: أعرف، لكني أتحدّث عن تحرّكاته في الوقت الحاضر. أين هو الآن؟

الرجل: أين عصاي، حقيبتي، مظلّتي؟

الحارس: (يصرخ به) لا تتحرّك هكذا، إنك تُقلقني.

الرجل: أعتذر.

الحارس: غير كافٍ ولا بدّ من أن تعرف بأنني هنا لمساعدتك.

الأب: شكراً، إنني...

الحارس: (يقاطعه، مُلقياً حواره بشاعرية وحب كبيرَين) لكن أخطاءَك حدثت

بسبب فقدانك الحاسة السرّية لأنك شخت، فالقانون يتسامح مع الإنسان في بداية حياته الوظيفية وفي نهايتها. لكنه يبقى كمقصلة فوق جميع الرؤوس. أما الغفران فلمرّة واحدة. لقد كنتُ أقوم في شبابي بمثل أخطائك، طبعاً عن عدم خبرة ودراية، وكنتُ أعاقب نفسي أياماً طويلة، خصوصاً في ليل الشتاء البارد حيث أذهب إلى البرّ خارج المدينة، والريح تصفر وتُنذر بعاصفة، وأبقى هناك أرتجف حتّى الصباح وحيداً. وفي إحدى الليالي انبثقَ من وسط الظلمة طيفُ رئيسي في الدائرة، كان كالنور الذي يُدخل الهدوء إلى النفس، والسكينة الممزوجة بالفرح الذي يغمر القلب. ظهر شامخاً يبتسم ابتسامته التي تميّزه. وبالرغم من أنه كان طيفاً، لأن الرؤساء لا يظهرون عادة، إلا أن هالة نور كانت تحيط به. وبما أنني كنت خائفاً وأشعر بكوني مذنباً في ذلك الوقت، فلم أجرؤ على النظر إليه. أمرني أن أقترب منه، وقفت أمامه مرعوباً من عينَيه، لكنه طمأنني عندما مدّ يده الحانية ليمسح على رأسي. بكيت من شدّة فرحي، فأمرني أن أتبعه. مشيت خلفه حتّى وصلنا النهر، فأشار إلى أعماقه، شاهدت رأسي العاجي هناك في الماء يهمس: «الخطأ ثمنه حياة، الخطأ ثمنه حياة»، التفتُّ فلم أجد طيف رئيسي، ومنذ ذلك الوقت لم أخطئ أبداً، لأن الخطأ في مهنتنا ثمنه حياة حقاً. إذاً لا تخطئ وإلا اعتُبِرتَ مذنباً.

الرجل: نعم، واجبي يحتّم عليّ ذلك.

الحارس: هل رجع ابنك تائباً؟

الرجل: نعم.

الحارس: هل هو في البيت؟

الرجل: نعم.

الحارس: مختبئ؟

الرجل: طلب منّي ذلك غير أني رفضت.

الحارس: لماذا لم تخبر عنه حتّى الآن؟

الرجل: كنت سأفعل، لا أخفي شيئاً عن رئيسي ودائرتي.

الحارس: هنالك أمور لا تتحمّل التأجيل، لقد أخطأت، كان المفروض أن تخبرنا في الحال؟

الرجل: كنت سأفعل.

الحارس: تأخّرت.

الرجل: والله غير متعمّد.

الحارس: هل كنت تحاول إخفاءه؟

الرجل: كلا، أنا خدمت سنوات كثيرة في الدائرة و... و...

الحارس: (مقاطعاً) أعرف، أعرف، ولهذا سأدافع عنك أمام رؤسائي (ينحني على الدمية للإصغاء)

الرجل: شكراً (إلى الرجل الدمية) ماذا تقول يا سيّدي؟ هذه (يشير إلى زهرة عبّاد الشمس التي في صدره) أنا أحبّها، إنها زهرة تتحرّك مع الشمس. ماذا، أهي شؤم؟ لا تحبّها؟ أعتذر يا سيّدي، سأرميها في النهر، نعم سأرميها (يرميها. صمت) ماذا سأفعل الآن؟ (الحارس يهمّ بالخروج) هل تذهب؟ وأنا؟

الحارس: انتظر (يذهب).

الرجل: ما هذا؟ هل أنا في كابوس؟ دم؟ د...، لقد تحوّل ماء النهر إلى دم، دم يجري، يجري و سيغمرني. دم دم (يفرك عينَيه) هل حقاً هذا، أم أنني لم أعد أرى؟

(ضربُ أبوابٍ بعنف، أصواتُ مطارق، أصواتٌ غير مفهومة مختلطة، صراخ)

الأم: (مرعوبة) لقد جاؤوا، فعلها النذل، اهرب يا ملاكي، اهرب.

الابن: عندما خرجتُ كانوا ينتظرونني في الظلام. (صمت)

الأم: (إلى الأب) عندما جاءوا في الفجر، كنتَ تعلم لأنك كنتَ قلقاً وتهذي ساهراً.

الابن: قادوني في ممرّ خانق،أرضه مغطّاة ببقع دم يابس، تحت قدمي شيء لزج كالصمغ، دم في كل مكان، دم في الاتجاهات كلّها، يا إلهي، يا إلهي. لماذا لطّخوا الجدران بالدم؟ لماذا رقّموا الزنزانات بالدم؟ دم، دم، دم. (أحياناً يتداخل حواره مع حوار الأم بتناغم)

الأم: خجلتُ من ضعفي لأنني وحيدة وأرى ابني في قبضتهم.

الابن: لم أصدّق عينيَّ، فالأمور اختلطت عليّ، أحقيقة ما أرى أم كابوس؟ كنت أسمع نباحاً بشرياً، كانوا ينبحون بلا توقّف طوال النهار والليل ووووو أووووو أوووو... وكأنهم جاؤوا من كهوف مظلمة تطاردهم حيوانات متوحّشة، كانوا كغابة تشتعل بخيولها المجنونة، والدم في كل مكان. دم دم دم دم.

الأم: دم دم دم دم يا الله، يا الله. (تهمس المقطع الآتي كخلفية لحوارات الابن) أنت المولى وأنا العبد، أنت العزيز وأنا الذليل.

الابن: ارتعبت لبقايا إنسان منسيّ في الزاوية، كتلة بلا ملامح مغطّاة بالدم (يدخل الحارس يدفع عربة صغيرة فيها بقايا إنسان، بقيّة سيقان وأيدٍ ورؤوس بشرية وغيرها، يسحل وراءه رأساً بشرياً كبيراً مربوطاً بحبل، يمكن للمخرج أن يبتكر صوراً قريبة من هذه البشاعة وتتكرّر طوال مشهد الابن) دم، دم في كل مكان.

الأم: أنت الخالق وأنا المخلوق، أنت المعطي وأنا السائل. (تستمرّ في التمتمة)

الابن: وشعرت بأني وحيد، وغريب، فلم أعد أرى سوى الدم في ضباب مظلم.

الأم: أنت المغيث وأنا المستغيث، أنت الباقي وأنا الفاني.

الابن: صرخوا بي: اركض، ركضت وأنا أنتظر ناراً ملتهبة ستشتعل بين ضلوعي وستصيب القلب.

الأم: أنت الدائم وأنا الزائل،أنت الحيّ وأنا الميّت.

الابن: لحقوا بي، اقترب أحدهم وطعنني في رقبتي سقطت وشعرت بدم دافئ يسيل حتّى غطّى جسدي.

الأم: أنت القوي وأنا الضعيف، أنت الغني وأنا الفقير.

الابن: تراجعوا وهم يرقصون، وانتظروا حتّى أنهض.

الأم: يا رب أنت الكبير وأنا الصغير، أنت المالك وأنا المملوك، اهرب بني اهرب.

الابن: نهضت، ركضت كالتائه بينهم، اقترب منّي آخر وطعنني بين ضلوعي، سقطت.

الأم: الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، السميع، اهرب، اهرب يا بني.

الابن: كانوا يدورون حولي كالوحوش.

الأم: أنت المنير البصير.

الابن: يصرخون بوجهي ويضربوني على جروحي.

الأم: يا رب أنت الأكرم.

الابن: تراجعوا فتقافزت أمام عينيَّ غزلان خضراء.

الأم: أنت الرحيم.

الابن: ومن جديد طعنني أحدهم في ظهري.

الأم: وأنت الكريم.

الابن: نهضت حاملاً جروحي، فتراءت لي غزلان أخرى بوجوه صبايا.

الأم: أنت العظيم. اهرب يا بني.

الابن: هرولت، اقترب أحدهم فرأيت وجهه، تذكّرت أني أعرفه، كان زميلي في المدرسة.

الأم: أنت الدائم.

الابن: مددت يدي نحوه أطلب أن يساعدني، لكنه طعنني في الرقبة مرّة أخرى، كان دمي يسيل، غطّى جسدي وامتزج بتراب الأرض دمٌ يسيل، يسيل، يسيل. سقطت، فقادني شرر من عيني إلى كهف مظلم.

أنت الكبير العلي.

الابن: صبايا شقراوات بأجنحة ملائكة تنقر على الدفوف. تقدّمت إحداهن فتحوّلتْ نوراً، شقّت لي الظلام بسيفها فانحدرتُ بعيداً في هوّة باردة رطبة. وعندما تسلّل أول شعاع لنور الفجر صمت كل شيء. نشرت يديَّ فتحوّلتا إلى جناحَين خضراوَين، حلّقت في سماء بعيدة كأني أطير في لهيب نار وأتلوّى هائماً وما زلت أهيم... أهيم، أهيم، أهيم.

الأم: بنيّ.

الابن: لم أنهض، تعثّرتُ. لم أنهض، تعثّرتُ. لم أنهض، تعثّرتُ. تعثّرتُ تعثّرتُ. وعندما تعثّرت مرّة أخيرة شعرت بأني في بئر مظلمة وعميقة جداً.

الأم: يا رب وأنت الشديد.

الابن: وميض، ونسور انقضّت على رأسي والتهمت عينيَّ.

الأم: وأنت الغالب.

الابن: وخيول هائجة تقدح حوافرها شرراً.

الأم: وأنت الحامي.

الابن: تأكل بعضها.

الأم: وأنت المغيث.

الابن: تصهل، وتصهل، وتصهل مجنونة.

الأم: يا ربّ.

الابن: تصهل، وتصهل، وتصهل (صمت طويل) لم أعد أسمع سوى تعاويذك يا أمّي.

(وسط التعاويذ التي تكرّرها الأم، تبدأ مع الابن رقصاً وحشياً، هو بالنسبة إليها حماية لجسد الابن وروحه من القتل، وهو بالنسبة إلى ابنها ما يشبه الانتماء والهرب إلى دفء رحم الأم من جديد والحماية من العذاب. الرقص كالتعويذة، كالهمس، كاللهيب الروحي الداخلي، يمكن أن نسمع من خلف الكواليس همساً مبحوحاً. ما زال الهمس، لكن الأم الآن تحتضن الابن كجثّة كما في أول ظهور لهما، وكأن كل هذا الذي حدث هو إما حلم وإما كابوس. يجمدان كأنهما إيقونة مضاءة. يتحوّل الهمس إلى أنين مع الموسيقى. الرجل لوحده، تسقط حقيبته فتتناثر تقاريره، ثم صمت مطبق)

الرجل: تقاريري؟ تلوّثت، ما هذا؟ (يتفحّصها) بيضاء أحقاً هذا؟ أحقاً أنها بيضاء؟ أمعقول هذا، هل كانت بيضاء منذ البداية؟ أم... أم... لا أعرف، لا لا يمكن، لم أعد أرى شيئاً (صمت) ماذا أفعل؟ إنني وسط شبكة عنكبوت تسحبني إلى هوّة مظلمة. يجب أن أعتمد على نفسي في الخروج من هذه الورطة (يخلع ملابسه ليهمّ بعبور النهر، يبقى شبه عارٍ، يتذكّر بخيبة) لا أعرف السباحة (يتحرّك تائهاً، ثم يهبط قمرٌ من أعلى المسرح) ها قد هبط الليل وأنا وحيد وحزين. ماذا سأفعل؟ (صوت ريح خفيفة. يجلس القرفصاء، لقد تحوّل إلى خواء بعدما

انتهى كابوسه. تهبط من السماء أوراق بيضاء كثيرة، فتختلط مع أوراقه التي كانت على الأرض. تحصره الإنارة في دائرة ضيقة حتّى تمحوه)

ظلام